

نشأة وتطور الحواضر بالمغرب الأدنى
ما بين القرن الأول إلى الرابع الهجري.

~~~~~ أ. مصطفى باديس أوكيل\*

مقدمة: شهد المغرب الإسلامي على العموم والمغرب الأدنى خصوصا العديد من التطورات والتغيرات بدءا من الفتوحات الاسلامية سنة 23هـ، والتي كان لفتحها دور كبير في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه، أمثال معاوية بن حديج وعقبة بن نافع اللذان أسسا أولى القواعد الإسلامية بالمغرب الأدنى، لكن ومع بداية ما يعرف بعصر الولاة واتباع بعضهم لسياسة سلبية دبَّ إليهم على ذكر ابن الأثير أهل المشرق، فظهرت فيهم التيارات والحركات الخارجية نتيجة لظلم وجور الولاة الأمويين والعباسيين، حيث وجدوا بالمغرب الأرضية الخصبة لتثبيت وجودهم كالإباضين والصفريين والعلويين، ومع بداية القرن الرابع وحتى نهاية السادس الهجري ظهرت كل من الدولة الفاطمية والزيرية والحمادية والمرابطية والموحدية، وكل منها عرفت بحاضرتها واتخذتها عاصمة لها.

وبهذا عرف المغرب الإسلامي مجموعة من الحواضر والمنشآت الإسلامية لكنها لم تلق دراسة واهتماما كبيرا من طرف المؤرخين الذين أولوا أهمية كبيرة في دراستهم للجانب السياسي والعسكري، لذلك كانت المادة العلمية قليلة.

لكن ما سنحاول دراسته في هذا الموضوع هو مدن وحواضر المغرب الأدنى على اعتبار أنها الأقدم في الفترة الإسلامية، والأقرب إلى عاصمة المغرب الإسلامي الأولى تاريخيا.

حواضر المغرب الأدنى

القيروان وتأسيس العاصمة:

الأهمية التاريخية والحضارية: تعد القيروان<sup>1</sup> من أهم المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي، ويعود تأسيسها إلى الصحابي عقبة بن نافع الفهري<sup>2</sup> الذي اختط المدينة سنة 50هـ<sup>3</sup>، وهو تاريخ دخول عقبة إلى إفريقية حيث كان يخوض العديد من الحملات سواء ضد الروم أو البربر،

\* - أستاذ محاضر أ في تاريخ المغرب الإسلامي - قسم العلوم الإنسانية - جامعة البويرة.

لذلك كان لزاما إنشاء قاعدة تكون حصنا له ولجنوده، فعندما وضع السيف في أهلها قال: "إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام؛ فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"<sup>4</sup>؛ فاتفق الجميع على هذا فأشار عليه بعض أصحابه أن تكون القاعدة قريبة من البحر لكنه رفض خوفا من غارات الروم، كما رفض أيضا أن تكون في الداخل خوفا من حركات البربر، وانتهى الأمر بقيام القاعدة الإسلامية بين الساحل والداخل<sup>5</sup>.

أما بالنسبة للبنىات فكانت "بسيطة واستعمل في بنائها القرميد والأجر المطبوخ، لوجود الطين في نفس المكان وخلوه من الحجارة اللازمة"<sup>6</sup>. كما أقام عقبة للمدينة سور من طين<sup>7</sup>.  
أهم مساجد القيروان:

**1- مسجد القيروان أو مسجد عقبة:** يعد من أقدم مساجد المغرب، أختطه عقبة ولم يحدث به أي بناء، وكان يصلي به وهو على هذه الحال<sup>8</sup>، ثم اختلف الناس حول موضع القبلة، فدعا عقبة ربه أن يبين له ذلك فاهتدى إلى موضع القبلة<sup>9</sup>، وكان بناؤه بسيطا، صغير المساحة، ثم هدمه حسان بن النعمان ليجدده لكنه لم يمس الخراب تقديرا لما قام به عقبة<sup>10</sup>.

وجلب إليه "ساريتين حمراوين موشاتين بالصفرة، اللتان لم ير الراؤون أحسن منها ولا مثلها وكانت في كنيسة من كنائس الروم"، وشيد في موضعه مسجدا جديدا ما بين سنتي (79-84هـ) من الجهة الشمالية المقابلة للمحراب، ثم أعيد بناؤه في ولاية "بشر بن صفوان" وأضاف عليه زيادات في بيت الصلاة، أما على عهد الدولة الأغلبية<sup>11</sup> فقد هدم "زيادة الله بن إبراهيم" أجزاء كبيرة من المسجد سنة 221هـ ومنها المحراب، وبنى محرابا جديدا بالرخام الأبيض، وبنى قبة على أسطوان المحراب، وقد أنفق على هذه الزيادات أموالا طائلة، وكان يقول: "ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات، بنياني المسجد الجامع بالقيروان، وبنياني قنطرة أبي الربيع، وبنياني حصن مدينة سوسة، وتوليقي أحمد بن محرز قاضي إفريقية"<sup>12</sup>.

أما الزيادات الأخيرة للجامع فقد تمت على عهد زيادة الله بن إبراهيم "أحمد بن محمد" الذي زين جدار المحراب بقراميد زخرافية وصنع المنبر من الخشب، وبنى القبة المعروفة بقبة البهو. ويعد منبر الجامع من أبدع وأجمل المنابر "نظرا للزخرفة الهندسية التي تقوم على الدوائر

والخطوط"، وهذا يدل على مدى براعة المغاربة في الفن الهندسي<sup>13</sup>.  
 أما بالنسبة للعلوم التي كانت تدرس بالجامع فمعظمها متعلق بأحكام الشريعة الإسلامية، فكان يقرأ به القرآن وتفسر معانيه، بالإضافة إلى علوم اللغة والآداب العربية.  
 وكان يحضر مجالس العلم الصبيان والشبان الذين كانوا يلبسون لباسا خاصا بأهل العلم ويلقي الدرس عليهم فقهاء القيروان المتمكنين في أحكام الإسلام، بالإضافة إلى حلقات الدرس أنشأ العلماء مجموعة من المدارس أطلق عليها اسم دور الحكمة، واستقدموا لها أساتذة من الشرق، وكان لهذه المدارس الدور الفعال في نشر لغة العرب وثقافتهم<sup>14</sup>.

بهذا أصبح جامع عقبة بن نافع جامعة كبيرة وعاصمة ثقافية في المغرب، فإلى جانب ازدهار دوره العلمي والثقافي، وتميز أيضا بمعاله المعمارية التي أذهلت الكثير فأصبح هذا الجامع يحظى بأهمية بالغة نظرا لأن بانيه كان الصحابي عقبة بن نافع، كما طغى على هذا الجامع الطابع الديني أكثر، لذلك كان دور المساجد منذ البداية دور تعديدي تعليمي ثقافي بالدرجة الأولى إلى جانب أدوار أخرى سواء سياسية أو اجتماعية<sup>15</sup>.

الحياة العلمية والثقافية بالقيروان: تعد القيروان من أهم المراكز الثقافية التي قامت بالمغرب الإسلامي، بما أنهما من أوائل المدن التي قامت، وإن كانت في بداياتها ذات طابع عسكري لكنها تحولت فيما بعد إلى مركز ثقافي كبير بفضل جهود عقبة بن نافع وبعض الصحابة، وعن أهمية هذه المدينة يذكر لقبال "أن قيام قاعدة القيروان حدث له أهميته الكبرى في تاريخ إفريقية الإسلامية لأنها أصبحت نواة لولاية جديدة هي ولاية المغرب".

لقد سعى عقبة منذ إنشائها إلى نشر الإسلام بين القبائل المجاورة لها كلواتة ونفزاوة ونفوسة ودخول أكبر زعيم بربري الإسلام كسيلة حيث تبعه الكثير من قبيلته، ويعد هذا إسهاما كبيرا لقاعدة القيروان، كما ازدهرت كذلك بها العلوم الإسلامية وتخرج منها العديد من علماء إفريقية<sup>16</sup>، واستقر بها العديد من الفقهاء فكانوا يخرجون إلى مختلف القبائل لنشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، فكثرت الإقبال على التعليم بها ولعت بما عدة علوم كالعلوم الدينية واللغة والنحو، وقدم إليها الكثير من أهل الأندلس للنهل من علومها، فأصبحت القيروان عاصمة الفقه المالكي.

كما اشتهرت القيروان بكتاتيبها التعليمية إلى جانب المساجد، وقد أثرت كثيرا في نشر

تعاليم الإسلام وعلوم اللغة العربية، وهذا بفضل جهود الصحابة الذين استقروا في القيروان وانتقال العرب إليها وانتشار الأمن والرخاء، كما ساهمت الخلافة في تفعيل هذا النشاط، حيث أرسل عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) بعثة علمية<sup>15</sup> كانت لها نتائج جد هامة في مجال العلوم الدينية، فكان كل من يستقر بالقيروان يحفظ القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

لقد شهدت القيروان نقلة نوعية على عهد الأغالبة الذين أولوا عناية فائقة بمختلف العلوم وأثروا الحياة العلمية، فأصبحت للقيروان مدرسة فقهية مالكية نافست غيرها من المدارس، كما كانت بعض المذاهب مثل الجبرية<sup>18</sup> والمرجئة<sup>19</sup> والمعتزلة والإباضية تمارس بكل حرية في مختلف المساجد إلى أن لمع إمام المذهب المالكي "سحنون بن سعيد" الذي رفض كل المذاهب المخالفة للمذهب المالكي، وهذا ما جعل المدارس الإفريقية تنكب على دراسة المذهب المالكي وكثر النشاط الأدبي بالقيروان حيث كان يتم الاعتماد على مؤلفات أهل المشرق والأندلس.

لقد عرفت القيروان عدة مذاهب كالمذهب الشافعي، وهذا ما يؤكد القاضي عياض أنه وجد بالقيروان مذهب الشافعية، لكن الغالب عليها "مذهب الكوفة والمدينة ... وكل القيروان على المذهب المالكي". بالإضافة إلى وجود "المذهب الحنفي بها".

واشتهرت القيروان بمكتبة دار الحكمة على عهد الأغالبة، وهي مكتبة على الطراز العباسي، واختير للإشراف عليها أكفء العلماء، ووجدت بها مختلف كتب الآداب والعلوم والفنون ونوادير المخطوطات<sup>20</sup>.

أبرز علماء القيروان: ظهر العديد من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء بالقيروان، وكان لهم دور كبير في بعث النشاط العلمي والثقافي بها، فقد كانت موطن أسد بن الفرات صاحب الأسدية وغيره ك:

1- عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون: أصله من الشام من حمص، ولد سنة 160هـ، عرف بفقهاء وزهده، تولى قضاء القيروان سنة 234هـ، ورحل إلى مصر للدراسة على يد أبي القاسم لتفقه على المذهب المالكي، ثم عاد إلى القيروان وانكب الكثير على مجالسه، إذ يعتبر عصره عصر تغلغل المذهب المالكي بالقيروان، وهو الذي قرأ الأسدية<sup>21</sup>، ثم دوّنهما وبوبها وأصبحت تعرف بالمدونة.

2- أسد بن فرات: أصله من خراسان، ولد سنة 142 هـ، سمع الموطأ من مالك، وتولى قضاء تونس سنة 203 هـ، ودون كل ما سمعه من الإمام مالك وجمعه فيما يعرف بالأسدية، وقد حاول أن يوفق بين تعاليم المذهب المالكي والحنفي باعتبار أنه كان حنفي المذهب، وقد أقبل الكثير على دروسه ومجالسه، ويعتبر أول فاتح لجزيرة صقلية سنة 212 هـ.

3- البهلول بن راشد الرعيخي: من كبار الفقهاء المالكيين، سمع من مالك، ولد سنة 128 هـ وتوفي سنة 183 هـ، وألف ديوانا في الفقه على المذهب المالكي.

4- أبو كريب جهيل بن كريب المعافري: من فقهاء إفريقية، تولى قضاء القيروان سنة 132 هـ وكان من خيرة علمائها، قتل في إحدى الثورات ضد الخوارج الصفرية<sup>22</sup>.

5- عبد الله بن فروخ الفارسي: فقيه القيروان، رحل إلى المشرق لطلب العلم، وكان يكتب مالك في المسائل الصعبة، وأقام بالقيروان يعلم الناس الفقه والحديث، كما ظهر بعض الشعراء أمثال ابن رشيقي وحسان بن ضرار الكلبي وابن الجزار الذي لمع في الطب، كما ظهر القزاز العالم اللغوي النحوي والأديب عبد الرحمن بن زياد القيرواني، وبهذا يمكن القول أن القيروان شهدت تطورا علميا كبيرا منذ إنشائها سنة 50 هـ، حيث درست بها مختلف العلوم وازدهرت أكثر على عهد دولة الأغالبة حيث كان مختلف الطلاب يجتمعون في مسجد عقبة لقراءة ما أنتجه القيروانيون كتفسير محمد بن عبد السلام، وكتب الطب لابن الجزار ومدونة الإمام سحنون وغيرها.

6- نظرا لهذه المكانة العلمية عدت المدينة الرابعة بعد مكة والمدينة وبيت المقدس، كما وصفها المقدسي بقوله: "وهي مفخر العرب ومركز السلطان وأحد أركان أرفق في نيسابور وأكبر من دمشق وأجل من أصبهان"<sup>23</sup>، وهذا يدل على مدى شهرتها والمكانة العلمية الكبيرة التي تميزت بها خلال العصر الوسيط.

تونس القاعدة البحرية والحضارية: تأسيس الحاضرة: تعتبر تونس<sup>24</sup> ثاني قاعدة بالمغرب الأدنى بعد القيروان، وهي مدينة أزلية كانت قديما تسمى ترشيش<sup>25</sup>، أسسها حسان بن النعمان الغساني<sup>26</sup> بعد تخريبه لقرطاجنة<sup>27</sup>، وكان الهدف من وراء تأسيسه لهذه المدينة تأمين قاعدة بحرية تقوم بنفس الدور الذي لعبته سابقتها (قرطاجنة).

وقد استطاع حسان أن يحول هذه المنطقة من قرية صغيرة إلى مدينة كبيرة اشتهرت

بمبائنها، كما أنه طلب من الخليفة عبد الملك بن مروان أن يمدّه بعمال أقباط من مصر وصل عددهم نحو ألف أسرة قبطية، وشرع في بنائها، كما قام ببناء مسجد ودار للإمارة وثكنات للجند، واختط الدور ونظم الدواوين والخراج، حتى تحولت تونس في عهده إلى قاعدة إسلامية كبرى وأكمل إرساء دعائمها بعد عزل عبيد الله بن الحبحاب<sup>28</sup> الذي يذكره صاحب الاستبصار بقوله: "في سنة 124هـ قام عبيد الله ببناء جامع ودار إمارة".

- الحياة العلمية: سعى حسان منذ بداية فتوحاته إلى نشر الإسلام وإرساء دعائمها، فبوصوله إلى تونس قام بنشره بين مختلف القبائل البربرية وذلك عن طريق توزيع الفقهاء والعلماء في مختلف المناطق لتعليم تعاليم الإسلام وقواعد اللغة العربية. أهم علماء حاضرة تونس:

- خالد بن أبي عمران التجيبي: سمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومن سالم بن عبد الله بن الخطاب ومن سليمان بن سيان، وله كتاب عنهم جميعاً.

- محمد بن خليفة بن عمر التونسي الوشتاني: الشهير بالأبي نسبة إلى مدينة أبة<sup>29</sup>، وهو الخلق البارع الحافظ، أخذ عن الإمام ابن عرفة ولازمه، واشتهر في حياته بالمهارة والتقدم في الفنون، وكان من أعيان أصحابه ومحققهم، وله "إكمال الإكمال" في شرح مسلم في ثلاثة مجلدات، وله أيضاً شرح "المدونة". أخذ عنه جماعة من الأئمة كالقاضي عمر القلشاني وأبي القاسم بن ناجي والثعالبي وغيرهم<sup>30</sup>.

- زيد بن بشر: أصله من أهل مصر، ورحل منها ماراً بالقيروان ثم لحق بتونس واستوطنها، وكان صاحب فقه وأدب، رحل إليه الناس من كل حدب خاصة من القيروان أمثال سعيد بن إسحاق وسليمان بن سالم.

- أبو مسعود بن أشرس: من أهل تونس، كان رجلاً فاضلاً، سمع من مالك بن أنس، وكان محافظاً على الرواية وشديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني أبو المهدي التونسي: قاضي الجماعة بتونس وعالمها وخطيبها، أخذ عنه البسيلى وأبي يحيى بن عقبة وعمر القلشاني وغيرهم، استتاب على إمامة جامع الزيتونة ثم استقل بها بعد وفاة ابن عرفة سنة 815هـ.

- جامع الزيتونة: يعتبر هذا الجامع ثاني معهد إسلامي بعد جامع القرويين، ومن أهم مساجد

إفريقية واتقنها، لقدم عهده وشهرته كجامعة علمية قديمة مازالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه، ويعود تأسيسه إلى عبيد الله بن الحبحاب سنة 116هـ، وفيما يخص شكله فقد كان مربعا وطول جدار محرابه 61م، اشتمل على بيت صلاة من سبعة أساكيب موازية لجدار القبلة، طول كل واحدة 54م تحترقها خمسة عشرة بلاطة، وأعمدته متنوعة، جلبت من آثار رومانية وبيزنطية، وهي من خشب، كما توجد للمسجد قبتان، واحدة أمام المحراب والثانية عند مدخل البلاط الأوسط، وبه منبر يرجع تاريخه إلى سنة 250هـ زمن الأغالبة، يشبه إلى حد كبير منبر القيروان، وقد وصفه العبدري في رحلته بقوله: "دائر مسقف ووسطه فضاء، قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدار، وشدت عليها حبال متينة... فإذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شقق من الكتان المطبقة حتى تظلل جميع الفضاء، ذلك دأبهم فيها حتى ينصرف فصل الصيف..."<sup>31</sup>.

#### -المهدية وانتشار المذهب الإسماعيلي:

تأسيس المهدية: تعد المهدية من أهم المدن والحواضر في المغرب الأدنى، تأسست على عهد الدولة العبيدية (من طرف عبيد الله المهدي)، على ساحل البحر، بعد أن ترك مدينة رقادة التي كانت تفتقر إلى نوع من التحصين، فعزم على بناء مدينة جديدة<sup>32</sup> لتكون حصنا له ولمن معه، فخرج المهدي بنفسه لاختيار موضع البناء، فمر على تونس وقرطاجة وسفاقس والمنستير، واختار مكانا بينها، وهي عبارة عن شبه جزيرة تقع "على رأس من البحر كهيئة كف على زند والبحر محيط بها"، وهذا يدل على أن بناءها أخذ جهدا كبيرا حتى أصبحت تعد من أهم مدن المغرب الأدنى، وهذا ما يؤكداه القاضي النعمان بقوله: "إنما كانت من أعجب الآثار"<sup>33</sup>.

أما بالنسبة لسنة البناء فهناك اختلاف بين المؤرخين، فابن عذارى يذكر أن بناءها تم سنة 300هـ، بينما يذكر الحموي أن بناءها كان في 05 ذو القعدة سنة 303هـ.

اشتهرت المهدية بسورها الكبير الذي ابتناه المهدي، وهو سور محكم، "وله بابان من حديد يزن كل واحد منها 1000 قنطار وطوله 30 شبرا".

كما عمد المهدي إلى إيجاد قنوات للمياه، فاستحدث بها العديد من المواجهل، قدرها المؤرخون بـ 360 ماجل، كما أقام على مدخل الميناء برجين كبيرين للحراسة، ربط بينهما سلاسل لكي تحول بينهما وبين دخول السفن الأخرى إلى داخل المدينة"<sup>34</sup>.

وأقام بها العديد من الأسواق والابنية والقصور، وعندما تم بناء المدينة وتحصينها قال المهدي: "اليوم آمنت على الفاطميات".

الحياة العلمية بالمهدية: لم تول الدولة العبيدية عناية كبرى للثقافة والعلوم، ذلك أنها عرفت بكثرة حروبها بهدف بسط وتثبيت سلطتها، لذلك كانت معظم المنشآت التي أنشأت ذات صبغة عسكرية - كمدينة المهديّة-، وما أحدثه في مجال الثقافة وإن كان قليلا فكان يخدم المذهب الإسماعيلي بالدرجة الأولى، بدليل ما قاموا به في مكتبة المعصومة بتاهرت، حيث تم إحراق كل الكتب والمخطوطات المخالفة لمذهبهم، وأبقوا على الكتب التي تخدمهم<sup>35</sup>.

ولأن هدف هذه الدولة كان نشر المذهب الإسماعيلي فقد ظهر بها الكثير من الدعاة والخطباء ومنهم:

1- أبو عبد الله الشيعي: واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء، والمعروف أيضا بالصنعاني، وكان صاحب علم وعقل ودين، دخل إلى بلاد المغرب لتثبيت دعائم المذهب الإسماعيلي، كما اشتهر بحبه للأدب والكتابة .

2- إسحاق بن أبي المنهال: وهو من أسرة معروفة بعلمها بالقيروان، وكان من أصحاب المذهب الحنفي بالقيروان ثم تحول إلى المذهب الإسماعيلي، وولاه عبيد الله القضاء ثم عزله لأنه كان متسامحا مع أهل المذاهب الأخرى.

3- أبو جعفر محمد بن هارون البغدادي: كان بمثابة وزير الدولة، وكلف بالكتابة وديوان البريد، واشتهر بعلمه وتمكنه من مختلف العلوم<sup>36</sup>.

4- محمد بن رمضان النفطي: وكان شيعيا وهو من أشهر شعراء الدولة الشيعية، كما كان يستعمل شعره لنشر المذهب الإسماعيلي، وكان يمدح عبيد الله المهدي كثيرا ومما قاله:

سلا طيبة القناص أين احتلالها فقد هاجني تفتيرها وامتدا لها

بالإضافة إلى مؤرخ الدولة وأديبها القاضي النعمان الذي كان من مواليد القيروان وكان من أسرة مالكية المذهب، إلا أنه اختار المذهب الإسماعيلي وأصبح أهم فقيه ومؤرخ وكاتب ديوان، كما اشتغل أيضا بالقضاء، وله مؤلفات عدة أهمها رسالة افتتاح الدعوة وكتاب دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام وكتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، وكتاب المجالس والمسائرات. كما عرفت المهديّة انتشارا واسعا لخلق الجدل والبحث بين علماء الشيعة



ومعارضهم<sup>37</sup>.

### المنشآت العمرانية:

#### أ- المساجد:

- المسجد الرئيسي: يقع جنوب غرب قصر أبي القاسم، حجمه قريب من حجم مسجد عقبة بالقيروان من حيث سعة الصحن، وقاعة الصلاة، يتكون من فناء واسع، شكله مستطيل يبلغ طوله 50 مترا وعرضه 93 مترا، أما بيت الصلاة طولها 80 خطوة وعرضها 34 خطوة.

ومما يلفت الانتباه أن المسجد لا يوجد به مآذن وحسب قول "مرمول" أن المهدي لم يقم له أذنة حتى لا يشبهه بالكنيسة ومدخل المسجد منخفض والداخل إليه يجب أن يدخل له وهو منخفض لأن بابه منحدر. وبالنسبة لباب الصلاة فهو الأوسط فهو أعلى وأوسع من بقية الأبواب الجانبية.

- ويذكر طقوس مسجدا آخر لكن لم يذكر اسمه وهو مسجد كبير يختلف طراز بنائه عن غيره من المساجد، وله بوابة كبيرة على مقربة منها برجان في غاية الضخامة، بالإضافة إلى أبراج صغيرة مما جعل واجهة هذا المسجد أشبه بواجهة إحدى القلاع.

- مسجد السبت: لم تذكر عنه المراجع أي شيء<sup>38</sup>.

#### ب- القصور:

1- قصر عبيد الله المهدي: مبني بالآجر، ورسمت على جداره سورة أسد وقوس ونبل، ويشبه هذا القصر شكل القلاع العسكرية، وسلك أساس جداره أوسع من الجدار ذاته، ويذكره البكري بقوله: "وقصر عبيد الله كبير وبابه غربي" ووجدت بالقصر عدة أهياء وممرات وقاعات، كانت أبوابه تفتح باتجاه الغرب.

2- قصر أبي القاسم: لم تذكر المصادر والمراجع عنه شيء سوى أنه يفتح على الجهة الشرقية، ويذكره البكري بقوله "قصر أبي القاسم يزاء قصر عبيد الله المهدي، وبابه شرقي"<sup>39</sup>.

3- قصر الجمل: والذي وجد بالمهدية مبني بالحجارة وطول حجراته 25 شبرا، وهو مدرج من الداخل من أسفله حتى أعلاه، وبه أبواب من أحسن وأتقن الصناعات.

كما وجدت منشآت أخرى كدار الصناعة لترميم السفن البحرية، وكانت تتسع لحوالي 200 مركب، وبها رواقين طويلين لخزن العتاد البحري، وهما بمثابة خزائن البحر وجدت عدة

خزائن لدار البحر يشرف عليها "أحمد بن محمد الطلاس"، وكان يجمع أي أحد من الدخول باعتبارها منشأة حربية ومؤسسة لتخزين الأسلحة والذخيرة.

كما انتشرت بالمهدية مجموعة من الحمامات ومختلف وسائل الراحة، نظرا لكثرة رواج تجارتها باعتبارها منطقة بحرية ولها اتصالات بدول المشرق والأندلس<sup>40</sup>.

الهوامش:

- 1- القيروان مغرب وهو بالفارسية كاروان، طولها إحدى وثلاثين درجة وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة، انظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان (ط1)، بيروت: دار صادر، مج3، ص420.
- 2- هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي، ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقتل بيهودة ودفن بالزباب، انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمنعربين والمستشرقين، (ط2، دت)، ج1، ص: 135.
- 3- موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، (ط2)، الرغاية الجزائر: الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، (1918)، ص29، انظر أيضا حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 6 إلى القرن 19م (ط5)، بيروت لبنان: العصر للنشر والتوزيع، (1423-1992) ج1، ص: 38.
- 4- ابن عذارى أبو عبد الله المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تج ج س كولان وليفي بروفسال، (ط2)، بيروت لبنان، دار الثقافة (1980)، ج1، ص19.
- 5- لقبال، المرجع السابق، ص: 20.
- 6- نفسه، ص: 31
- 7- أحمد بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر (ط2)، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي، (1983) ج 2 ص: 87
- 8- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 20، انظر أيضا عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي-دراسة تاريخية عمرانية وأثرية، (ط1)، بيروت، دار النهضة العربية، (1981) ج02، ص: 423، يرجع إلى لقبال، المرجع السابق، ص: 32.
- 9- أبو عبد الله عبد الله بن العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك (د.ط، مكتبة المنى، بغداد، دت)، تحقيق محمد زينه محمد عزب، (ط1، مكتبة مدبولي، 1408 - 1988) ص: 36.
- 10- تتسب هذه الدولة إلى مؤسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي ودخل إفريقية في حدود سنة 144 هـ، انظر: محمد علي دبو، تاريخ المغرب العربي الكبير، (ط1)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية 1383 هـ - 1963م ج3، ص: 155.
- 11- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 138 انظر أيضا: ابن وردان، المصدر السابق، ص: 36، يرجع إلى مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص: 296.
- 12- البكري، المصدر السابق، ص: 24، انظر أيضا عبد العزيز النعالي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد محمد إدريس، (ط1)، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي (1410-1990)، ص: 236، انظر أيضا: سالم، المرجع السابق، ص: 425.
- 13- عثمان الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر على القرن التاسع عشر (ط1)، معهد الدراسات العربية العالمية، (1958-1376)، ص: 16، يرجع إلى الفرديل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن البدوي، (ط3)، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي، (1987)، ص: 94.
- 14- يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأذن منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس هجري (ط1)، مكتبة الملك فهد الوطنية، (1421 هـ - 2000م)، ص: 202.
- 15- الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 91.
- 16- \* كان عدد هذه البعثة عشرة أشخاص، كلهم من العلماء والأدباء، وهو: أبو عبد الرحمن الحلبي، اسماعيل بن عبيد الأنصار، أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع، أبو سعيد بن مسعود التجيبي، موهب المعافري، حيان بن أبي جيلة القرشي، أبو تمام بكر بن سوادة الجذاهي، أبو سعيد جعتل، أبو عبد الحميد اسماعيل القرشي المخزومي، انظر: بونار، المرجع السابق، ص - ص: 62 - 66، يرجع إلى الفرد بل، المرجع السابق، ص: 97.

- 17-الجزيرة: الجبر هو نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته للرب ولها عدة أصناف كالحالصة والمتوسطة، انظر: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، (ط1)، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية) ج1، ص 137.
- 18-المرجنة: وهو الإرجاء أو التأخير ويطلق هذا المعنى على الجماعة لأنهم كانوا يؤخرون العمل من التوبة والعقد وهم أصناف، نفسه، ص: 137.
- 19-عرفت القيروان عدة مذاهب وهذا يدل على مدى سماحة أهل القيروان مع مذاهب الأخرى، وربما يعود هذا إلى كثرة الوافدين من أهل المشرق والأندلس وبالتالي وجود أجناس مختلفة كل له مذهبه الخاص به.
- 20-الاسدية: هي عبارة عن مجموعة من الأسنلة وضعها أسد بن فرات وأجاب عليها من موطن مالك وعددها 60 كتاب، القاضي عياض، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي، (د.ط، مطبعة تونس، 1968) ص: 58.
- 21-جودت، المرجع السابق، ص: 111.
- 22-المقدسي، المرجع السابق، ص: 182.
- 23-أصل التسمية: يذكر أنه عند فتح المسلمين لإفريقيا نزلو بمهذه القرية وكان يوجد بجانبها صومعة رهبان وكان المسلمون يأنسون براهب كان فيها فقالوا بأن هذه الصومعة تونس ومن ثم جاءت تسمية تونس، ينظر: البكري، المصدر السابق، ص: 37.
- 24-ترشيش: هو اسم مدينة تونس بالرومانية ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج2 ص: 22.
- 25-حسان بن النعمان الغساني بن عدي الأزدي الغساني من أولاد ملوك غسان قائد رجال السياسة والحرب يلقب بالشيخ الأمين، كان عاملا على مصر أيام عبد الملك بن مروان وأقام بالقيروان، ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج2، صك 191.
- 26-قروطاجنة: بلد قديم نواحي إفريقية وهي مدينة عظيمة شامخة البناء، أسوارها من الرخام الأبيض وبينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص: 323.
- 27-عبيد الله بن الحبحاب: من الرؤساء الخطباء، كان مولى بني سلول، نشأ كاتباً وولي مصر زمناً ثم نقله هشام بن عبد الملك إلى إفريقية سنة 116هـ وسار إليها وضبط أمورها وعزل سنة 123هـ، ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص: 115.
- 28-أبة: مدينة بإفريقية وبينها وبين القيروان ثلاثة أيام، موصوفة بكثرة الفواكه وإنبات الرعفران، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص: 108.
- 29-عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد النعالي المالكي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح وتعليق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (ط1)، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي، محمد العبدري بالبلنسي، دت)، ص: 12.
- 30-محمد العبدري بالبلنسي، الرحلة المغربية، تقدم سعد بوفلاقة (ط1)، عناية الجزائر: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، 1428 - 2007)، ص70.
- 31-أنشأ المهدي المدينة على الساحل لأن نفوذ الفاطميين بالداخل لم يكن قويا بسبب الحركات الخارجية الأخرى، فأنشأها على الساحل لتعتمد الدولة العبيدية على أسطوفا البحري، انظر: أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، (ط1)، دار المعرفة الإسكندرية، 1425 - 2005)، ص: 138، يرجع أيضا إلى: الدشراوي، المرجع السابق، ص: 564.
- 32-ابن محمد بن حيونان النعمان التميمي، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، (ط4)، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1986) ص: 327.
- 33-سالم، المرجع السابق، ص: 606، انظر أيضا: سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام (ط1)، دار النقاش، 1422 - 2001)، ص: 91.
- 34-بيوزيان الدرارجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، (ط1)، دار الكتاب العربي، 2007) ص-ص: 417-418.
- 35-ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص-ص: 162 - 163، انظر أيضا: الدرارجي، المرجع السابق، ص: 423.
- 36-عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، (ط2)، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1384 - 1960)، ص-ص: 305 - 306.
- 37-الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيوي من القرن 10 إلى القرن 12، تر: حمادي الساحلي، (ط1)، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992) ج2، ص: 55.
- 38-البكري، المصدر السابق، ص: 30، انظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص: 54.
- 39-مرمول، المرجع السابق، ص: 290.
- 40-نفسه، ص: 291.